أزمة مع على ماهر

■ سر أزمة فاروق مع على ماهر بعد يومين من تولى الوزارة.

■ فاروق يهوى العبث بالدستور والقانون.

■ نجيب الهلالى عرض عليه فاروق رئاسة الوزارة ولكنه اعتذر ورشح «على ماهر».

فى أعقاب حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ أقال الملك فاروق مصطفى النحاس من الوزارة، وهكذا سجل الوفد أنه لم يحكم فترة نيابية كاملة طوال حكم فاروق من ١٩٣٧ إلى ١٩٥٢.

اختار فاروق خليفة للنحاس باشا خصمه اللدود «على باشا ماهر» الذى كان يناهز السبعين من عمره عندما تولى رئاسة الوزارة يوم ٢٨ يناير ٥٢، لكنه كان يسير كأنه فى الثلاثين.

كان على ماهر قصير القامة ممتلىء الجسم ذا عينين ضيقتين تجولان فى محجريهما بسرعة، له شارب كثيف يغطى شفة يلويها وهو يبتسم وكان شعره فاحم السواد لا تجد منه شعرة واحدة بيضاء لأنه كان يصبغه صبغة محكمة والرجل له ماض حافل فى تاريخ مصر السياسى فقد كان عميداً لكلية الحقوق، ثم وزيراً فى وزارة إسماعيل صدقى التى عطلت دستور سنة ١٩٢٣، ثم رئيسا للديوان الملكى للملك فاروق على أثر توليه العرش فى الثامنة عشرة من عمره وهو الذى أشار على الملك فاروق بإقالة النحاس باشا زعيم الأغلبية من الحكم بخطاب وقح. ولم يتعرض رئيس للوزراء من قبل لمثل ما تعرض له فى هذا الخطاب من مهانة وإذلال. إذ كان طعناً صريحاً فى طريقة الحكم وقد حل البرلمان طبقاً لمشورة رئيس ديوانه. وكانت أول ضربة يوجهها الملك فاروق إلى الدستور والحياة النيابية ولا شك أن المسئول الأول عنها هو على ماهر. إذ إن الملك فى سن الثامنة عشرة لا يعقل أن يصل فهمه للأوضاع السياسية إلى أن يتهم رئيس الوزارة ورئيس حزب الأغلبية بسوء الحكم، وأن يقدم على إقالته وهو متمتع بثقة البرلمان الكاملة إلا إذا كان مستشاره الأول هو الذى غرس فى عقله هذه الفكرة. ولقد أصبح الملك بعد ذلك يقيل الوزارات ويستهتر بالوزراء كأنهم دمى يلعب بهم. وساعده على ذلك أنه لم يجد من الشعب معارضة قوية.. إلا بعض احتجاجات خافتة ومقالات فى الصحف. وكان على ماهر رئيسا للوزراء سنة ١٩٤٢ واتهمه الإنجليز بأنه موال هو والقصر للمحور. ووجدوا فيه خطراً على موقفهم العسكرى وطلبوا من الملك إقالته. ورفض الملك وانتهى الأمر بحصار الدبابات الإنجليزية لقصر الملك وطلبهم منه التنحى عن العرش.

ولو رفض الملك الاستجابة لطلبهم إقالة على ماهر وتعيين مصطفى النحاس رئيسا للوزارة لذهب منفيا إلى جنوب إفريقيا. لقد مضت عشر سنوات على أزمة فبراير ٤٢، فلماذا جاء الملك بعلى ماهر رئيسا للوزارة فى سنة ١٩٥٢؟

كان فاروق بعد حريق القاهرة فى حاجة سريعة لوزارة تقوم بالحكم إثر إقالة وزارة النحاس باشا. ولم يكن على ماهر هو أول من عرض عليه فاروق رئاسة الوزارة، فقد عرضها على نجيب الهلالى ولكنه اعتذر وأشار على الملك باختيار على ماهر. وقد عرفت ذلك من الهلالى باشا نفسه وعندما سألته عن سر ترشيحه لعلى ماهر كانت إجابته لى: على ماهر له عشر سنوات ينتظر الوزارة على نار ولو قبلت رئاسة الوزارة فإنه سينضم إلى الوفديين فى محاربتى وسيعمل أيضا مع الإخوان المسلمين (وكان على ماهر وثيق الصلة بهم) ضدى أيضا.

وعندما طلب فاروق إلى على ماهر تشكيل الوزارة لم يضعنى فى التشكيل وإنما وضع اسم حسن رفعت وكيل الداخلية فى ذلك الوقت وزيرا للداخلية، ولكن «فاروق» رفض.

وعاد على ماهر واقترح اسم عبد السلام الشاذلى ولكن «فاروق» رفض الاسم مرة ثانية وطلب إلى على ماهر تعيينى- وكنت فى ذلك الوقت محافظا للإسكندرية - وزيرا للداخلية.

ولم تكن علاقتى بعلى ماهر جيدة، فرفض عرض فاروق فما كان من فاروق إلا أن أرسل إليه يبلغه إعفاءه من تشكيل الوزارة والبحث فى تكليف شخص آخر مثل الهلالى.

ولم يكن سهلا على على ماهر أن يترك فرصة تشكيل الوزارة تضيع منه وقد صار له عشر سنوات وهو يتلهف عليها بسبب وزير، وإن كنت أنا شخصيا لم أعرف بكل هذه الحكايات إلا بعد دخولى الوزارة.

فاروق يبلغنى تعيينى وزيرا

فى الساعة الثالثة من صباح الاثنين ٢٨ يناير ٥٢ اتصل بى فاروق من القاهرة فى الاسكندرية يسألنى: «أنت إيه اللى مخليك فى اسكندرية؟».

قلت له وأن أعجب لهذا السؤال فى الثالثة صباحا: هوه جلالتك عينت حد تانى محافظا للإسكندرية.

قال ضاحكا: مش كده.. أنت أصلك بقيت وزير الداخلية.. هو على ماهر لم يتصل بك؟

قلت: والله مش عارف يا مولانا مين المفروض يتصل بى فى الحالة دى.. جلالتك ولا على ماهر.. أصل أنا لم أدخل الوزارة من قبل.

قال: زى بعضه انزل مصر بقى علشان تحلف اليمين، وكلم على ماهر.

قلت لفاروق: بعد إذن مولانا ما أقدرش أكلمه فى حاجة زى كده.

قال غاضبا: طيب.. طيب..وفى السابعة صباحا كان هناك تليفون آخر ولكن من على ماهر.. وجاءنى صوته أول ما رفعت السماعة: ايه يا مرتضى؟.. أنت لسه عندك مانزلتش؟

قلت: انزل فين؟

قال مندهشا: تنزل مصر يا أخى.

قلت وأنا أتظاهر بالجهل: ليه؟

قال والدهشة تبدو أكثر فى صوته: أنت مش عارف أنك وزير؟

قلت وأنا أتظاهر بجهل أكثر: لا.. معرفش

قال صارخا: جرى إيه يا مرتضى؟ هو الملك ما كلمكش ولا ايه؟

قلت وأنا أحاول تفسير معانى الكلمات: هو المفروض مين اللى يكلمنى... رئيس الوزراء ولا الملك؟

قال وقد فهمها: يا سيدى زى بعضه، وعلى العموم لنا كلام لما نتقابل.

وتركت الإسكندرية إلى القاهرة واشتركت مع الوزراء فى حلف اليمين وفى أثناء خروجنا طلبت من على ماهر أن انفرد به للحديث ولكنه أمهلنى يومين أو ثلاثة أيام.

الأزمة الأولى مع على ماهر

فى ثالث أيام اشتراكى فى الوزارة وجدت مديرى أمن المحافظات – وكان يطلق عليهم فى ذلك الوقت لقب الحكمداريين – يطلبون مقابلتى. قلت: إنهم لابد جاءوا لتهنئتى ولكننى فوجئت بهم يقولون لى: إنهم انتهزوا فرصة أن على باشا استدعاهم من محافظاتهم وبعد اجتماعه بهم مروا على للسلام.

كانت مفاجأة لى.. فلم يبلغنى على ماهر بهذا الاجتماع.

فقلت اسألهم: امتى على ماهر استدعاكم

– استدعانا بمكالمة تليفونية.

كان إحساسى على الفور أن على ماهر بدأ المعركة ضدى وأنه أراد أن يمزقنى أمام المحافظين والحكمداريين فلم يكونوا من الغباء بحيث لم يدركوا أننى لم أحضر هذا الاجتماع وهو أول اجتماع يعقده معهم رئيس الوزراء وفى ظروف أحكام عرفية معلنة.

وكان أمامى أن ابتلع ما حدث واسكت أو أن أدخل المعركة.. وقررت أن أدخلها بوضوح وصراحة وبدون أى لف أو دوران.

قلت لهم: اسمعوا عاوز أقول لكم حاجة، أنا ماعرفش حاجة عن اجتماعكم برئيس الوزراء.. ولم أعرف أنه استدعاكم لكن أحب أن أقول لكم من هنا ورايح أى واحد يستدعيه رئيس الوزراء يتصل بى مباشرة ويبلغنى بذلك وإلا فسيجد نفسه محالا إلى المعاش.

قال لى إبراهيم زكى الخولى محافظ كفر الشيخ: يعنى معقول يا سيادة الوزير أن رئيس الوزراء يستدعينا ولا نلبى طلبه؟

قلت: أنا بكررها وباقولها بوضوح إذا استدعاكم تبلغونى وأنا الذى أقول لكم تروحوا له ولا لأ!

أزمة كبيرة بسبب اجتماعات المجلس

كان على ماهر شخصية قوية يحب التسلط وأن توجه الأضواء كلها إليه وحده. فإذا تقرر تخفيض أسعار بعض المواد التموينية صدرت الصحف بالعنوان التالى (على ماهر يقرر تخفيض ثمن السكر). وإذا صدر تعديل على نظم الجامعة أو التعليم نشرت الصحف أن على ماهر هو الذى درس التعديلات ووضعها. وإذا بُنى جسر قيل: إن على ماهر هو الذى أصدر أمراً ببنائه. كان يعتبر وزراءه كتبة عنده. كان يجمع مجلس الوزراء فى غرفة مكتبه لا فى قاعة مجلس الوزراء ويجلس الوزراء على مقاعد الحجرة ويقرأ عليهم سكرتير مجلس الوزراء القرارات والمراسيم التى وضعها على ماهر والتى لم تكن تطبع وتوزع عليهم. وعندما ينتهى سكرتير المجلس من قراءتها يقول على ماهر: طبعا أنتم موافقون ويقوم ويتوجه إلى مكتبه وينصرف الوزراء. وفى الجلسة التالية حين بدأ السكرتير التلاوة استوقفته وقلت لعلى ماهر: إننى أطلب تأجيل الجلسة.

قال على ماهر مندهشا: لماذا؟

قلت: إننى أطلب إعداد جدول أعمال وطبعه وتوزيعه على الوزراء قبل وقت كاف يسمح لهم بدراسة القرارات على أن تعقد الجلسة فى قاعة مجلس الوزراء وليس فى مكتبك. قال على ماهر: ولماذا فى قاعة مجلس الوزراء وليس فى مكتبى؟

قلت: إن قاعة مجلس الوزراء ليست بعيدة. إنها فى الغرفة المواجهة لمكتبك وفيها مائدة كبيرة نجلس عليها، ومع كل منا أوراقه ومشروعاته يضعها على المائدة أمامه. إن الموائد

الموجـودة فى مكتبك هـى لتناول القهـوة أو لوضع منافض السـجائر والحكم مظهر ومخبر ومظهر الحكم هو قاعة مجلس الوزراء.

قال على ماهر: وهل يعنيك المظهر كثيراً؟

قلـت: تعنينى الدلالة أكثر من المظهر، إنك تجمعنا فى مكتبك ليفهم الناس أننا موظفون عندك لا وزراء. ويؤيد ذلك أنك لا تهتم بأن توزع علينا جدولا بأعمال المجلس.

قـال وهـو يصيـح غاضبا: أنـا رئيس الـوزراء وأنـا الذى أقرر الشـكل الـذى يجتمع به الوزراء.

قلت: أنت لسـت رئيسـا للوزراء - أنت رئيس لمجلس الوزراء حسب مرسوم تعيينك - ومجلس الوزراء ينعقد فى قاعة مجلس الوزراء. وأحب أن أقول لك شيئاً آخر البارحة طلبت محافظى الأقاليم ورؤسـاء الشـرطة للاجتماع بهم، واجتمعت بهم من غير أن تخطرنى وأنا وزير الداخلية وتم اجتماعك معهم بغير حضورى فهل كان ذلك وضعا لائقا؟

قال على ماهر: هل تريد أن توبخنى على ذلك؟

قلت: لا أريد أن أوبخك ولكن أقول لك: إنى لن أحضر بعد اليوم اجتماعا لمجلس الوزراء إلا إذا جـرى فـى قاعة المجلس مع جدول أعمـال. وإذا حاولت أن تجتمع مع أى موظف فى وزارة الداخلية دون علمى فاعتبرنى مستقيلا على الفور.

تدخل إبراهيم باشـا عبد الوهاب وزير الشئون قائلا: إن «رفعة» الرئيس هو بمثابة والد وأستاذ لنا وإنه ليس لك حق يا أستاذ مرتضى فى أن تناقشه بهذه الكيفية.

قلـت له: اسمع ليـس الحكم عواطف وعلاقات عائلية ولسـنا كتبـة.. وأنت وغيرك من الوزراء عودتم الرئيس أن يعامل الوزراء هذه المعاملة.

كانـت بالطبع بداية غـير طيبة مع على ماهر ظلت تجرجر ذيولهـا إلى أن اضطررت إلى الاستقالة أكثر من مرة، وكانت المرة الأولى عندما دعا على ماهر إلى عقد مجلس الوزراء (وهذه المـرة فى القاعة) وقال: إن الملك يريد حل البرلمان. وكانت أغلبيته وفدية بينما حكومة الوفد مقالة.. وراجعه على ماهر وطلب التمهل ولكن الملك أصر وطلب عرض أمر الحل على مجلس الوزراء. فقلت له: وما رأيك أنت؟

قال: لا أريد أن أصطدم مع الملك وعلينا أن نقبل حل البرلمان ولكن على ماهر قال: أريد أن يبقى مرسوم الحل طى الكتمان.

وبدت الدهشة على وجوه الوزراء، وقال أحدهم: لماذا تريد أن يبقى الحل سراً؟

قال على ماهر: إننى سأدخل فى مفاوضات مع الإنجليز ولا أريد أن أهاجم من حزب الوفد لئلا يضعف مركزى مع الإنجليز.

قال أحد الوزراء: وكيف يمكن أن يبقى أمر الحل فى طى الكتمان؟

قال على ماهر: أريدكم أن تكتموه ولا تذيعوه على الصحافة وسيبقى الأمر فى جيبى إلى أن أرى الظروف مناسبة لإعلانه.

ولكن حدث ما ليس فى حسبان على ماهر. فقد أوعز الملك إلى الدكتور حافظ عفيفى باشا رئيس ديوانه حين رأى أن أمر الحل لم ينشر بالاتصال بإحدى الصحف الكبرى وإبلاغها بقرار الحل فنشرته وثار على ماهر وطلب أن أقابله وقال لى: كيف سمحت وأنت الرقيب العام للصحف بنشر أمر الحل؟

قلت: إن الصحف نشرته رغم اعتراض الرقيب وتحملت مسئولية نشره والصحافة موضوعة تحت الرقابة فيما يختص بالأنباء العسكرية أو الضارة بأمن الدولة وليس أمر الحل من الأنباء العسكرية أو الضارة بأمن الدولة.

قال على ماهر: إنك تريد فضيحتى.

قلت: إذا كان أمر الحل فضيحة فلماذا قبلته؟ إن الفضيحة هى أن تكون مع الوفد بوجه ومع الملك بوجه آخر.

وتركته والعلاقات بيننا قد وصلت إلى درجة كبيرة من السوء وكان هذا شيئا مؤسفا للغاية فالحالة الداخلية فى البلد لم تكن تسمح بأن يقوم نزاع بين رئيس الحكومة ووزير الداخلية المشرف على الأمن. إن حريق القاهرة قد ترك مصر تغلى من السخط وكان أكثر السخط موجهًا ضد القصر وقد أذكت نار السخط عناصر قوية جداً. فالوفديون لم يكونوا راضين عن إقالة النحاس وحل البرلمان. والإخوان المسلمون كانوا يجمعون السلاح بكثرة ويريدون رأس الملك وقلب نظام الحكم ليتولوا هم الحكم أو يدخلوه على الأقل. والجيش ثائر على الملك وتجمعات الضباط الأحرار أخذت تزيد. كل ذلك كنا نعلمه والمفروض أن تكون الحكومة التى تواجه الموقف حكومة متماسكة فكرت فى هذا كثيرا وطلبت مقابلة على ماهر وقابلته وقلت له كل هذه الأفكار التى جالت بخاطرى فرد على ماهر بأنه يوافق على ما قلت ويرجو أن أنسى ما حصل وأن نتعاون معاً بنية سليمة، ولكن ما هى إلا أيام قليلة حتى بدأت الأزمات من جديد.

على ماهر يهرب من مقابلتى

ذات يوم فوجئت به يطلبنى تليفونيا ويسألنى: أنت قاعد فى مكتبك وجامعة فاروق فى اسكندرية بتتحرق؟!

قلت: امتى؟

قال: دلوقتى.. الحريقة شغالة على الآخر..

كانت مفاجأة كبيرة لى.. فأنا وزير الداخلية لا أعرف عن حريق فى موقع من أهم مواقع مصر ورئيس الوزراء يذهب إليه الخبر من مصدر آخر فى حين أننى يجب أن أكون مصدره الأول.

اتصلت باللواء يسرى قمحة حكمدار محافظة الاسكندرية ولكنهم أبلغونى أنه ذهب إلى جامعة الإسكندرية.

وأيقنت أن خبر رئيس الوزراء صحيح وأن علىَّ أن استقيل. إذْ ما الذى يجعلنى أن أبقى وزيرا وواحدة من ثلاث جامعات موجودة فى مصر تحترق (كانت هناك فى ذلك الوقت ثلاث جامعات هى فؤاد (القاهرة) وفاروق (الإسكندرية) وإبراهيم باشا (عين شمس).

واتصلت بمدير جامعة فاروق الدكتور مصطفى عامر ورد علىَّ بنفسه.

قلت له وأنا أتحسس الطريق: ازاى الحال عندك؟

قال وقد أحسست الدهشة من سؤالى: كويس

قلت وأنا أدور وألف: سمعت أنه فيه اضطرابات فى صفوف الطلبة.

قال: أبدا.. مفيش أى حاجة.

قلت: معرفش فيه تقرير قدامى بيقول إن فيه طالب عندك رمى عقب سيجارة ونشأ عنه حريق؟

قال فى سرعة: مفيش حاجة من دى حصلت يا سيادة الوزير.

قلت: امال اللواء يسرى قمحة مش عندك؟

قال: ايوه.. موجود تحب سيادتك تكلمه؟

قلت على الفور: طبعا اكلمه.

وجاءنى صوت اللواء يسرى قمحة.. قلت له قبل أن اجعله يكمل التحية: أنت رايح عندك تعمل ايه فى الجامعة؟

قال مندهشا: والله يا أفندم موضوع خاص بابن اختى عاوز أدخله الجامعة.

قلت له بحسم: امال بيقولوا إن فيه عندك مظاهرات..

قال: والله يا افندم ما فى أى حاجة.

قلت: مفيش حاجة؟

قال: ابدا..

وعلى الفور تركت مكتبى وذهبت إلى على ماهر فى رئاسة الوزراء.. وبدون حتى أن استأذن سكرتيره وجدت نفسى افتح مكتبه كأننى أقتحمه..

ولابد أنه بذكائه كان يتوقع شيئا من ذلك فقد وجدته أول ما شاهدنى يغادر كرسيه فى مكتبه ويجرى ناحيتى ويقول لى: اتفضل فى الصالون لأن الأستاذ إسماعيل الأزهرى معى وأنا باتكلم معاه وأول ما اخلص حاجيلك.

كان الأستاذ إسماعيل الأزهرى موجودا بالمكتب بالفعل وقد أخذ يتحدث معى وأشعرنى ذلك بالخجل من التسرع فى دخول المكتب دون استئذان..

وتركت غرفة مكتب على ماهر وذهبت إلى الصالون الملحق بالمكتب انتظر على ماهر ولكن مضت نحو ساعة دون أن يحضر..

وعندما سألت تبين أنه غادر مبنى رئاسة الوزراء!

وجدت نفسى أدخل مكتبه والتقط ورقة كتبت فيها استقالتى ثم استدعيت مدير مكتبه وقلت له: إن هناك خطابا أرجو أن تسلمه بنفسك إلى على باشا ماهر.

ولكن ما هى إلا ساعات حتى اتصل بى محمد على رشدى وزير العدل وسعد اللبان..

كان واضحا أن على ماهر أبلغهما وقلت لهما إننى لا أستطيع التعاون مع هذا الرجل وإننى مصمم على الاستقالة.. ولكن فى الصباح دخل علىَّ الخادم يبلغنى أن رفعة رئيس الوزراء مر علىَّ بالمنزل وترك لى بطاقته.

وبعد دقائق كان على ماهر يتصل بى من مكتبه برئاسة الوزراء ويرجونى رجاء شديدا أن أعدل عن الاستقالة التى لم تكن الأخيرة.

❑❑❑

١ – الملك فاروق أفسدته الحاشية .

٢ – فؤاد سراج الدين .

٣ – النحاس باشا اعتقل علـى ماهر الذى كان يصرخ فى المعتقـل ويهدد ويتوعد النحاس بالإعدام .

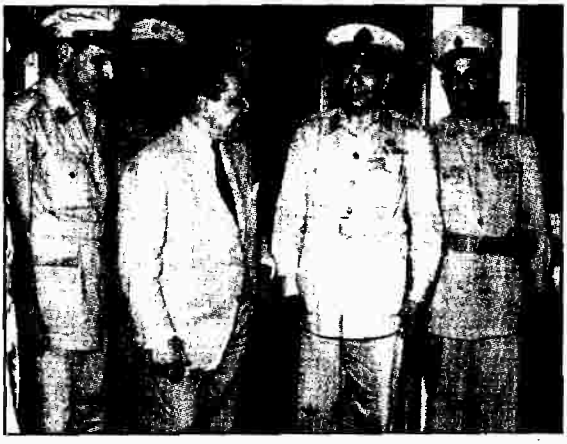

٤ – على ماهـر وأعضاء مجلس قيادة الثورة .

٥ – الأسـتاذ مرتضـى المراغى .